تقديم

منذ تفكك الاتحاد السوفييتى فى بداية العقد الأخير من القرن السابق، والأصولية الإسلامية، ومن ثم التهديد الإسلامى والإرهاب الإسلامى . . . وما إلى ذلك، تتصدر وسائل الإعلام الأمريكى وبالتبعية بقية العالم، ومن ضمنه الشرق الأوسط .

وعلى عكس التيار الرئيسى للإعلام الغربى، نشرت «مطابع پلوتو - Pluto Press» لمؤلفين يهوديين، أحدهما إسرائيلى الجنسية : إسرائيل شاحاك، والثانى أمريكى الجنسية : نورتون ميزڤينسكى، كتاب : **الأصولية اليهودية فى إسرائيل** .

يوضح الكاتبان أن غرضهما من الكتاب كشف النقاب عن الأصولية اليهودية التى لا يلتفت إليها أحد، وحتى إن تناول بعض كتّاب الغرب أو وسائل إعلامه تحليل إسرائيل من الداخل، فيتم غض الطرف عن التأثير البالغ لتلك الأصولية(*)، والتى تمثل - فى نظرهما - خطراً على السلام فى الشرق الأوسط، من حيث نفوذها على المجتمع فى إسرائيل، وعلى

(*) لم تخلُ حكومة إسرائيلية واحدة منذ نشأة دولة إسرائيل من مشاركة الأحزاب الدينية .

سياسة إسرائيل الخارجية، وعلى ترسانتها النووية، بل هى خطر على بقية اليهود فى إسرائيل وخارجها، فقادة إسرائيل يتقربون، ويتملقون الأصوليين من الأحبار والحاخامات، وكثيراً ما يقابلهم الحاخامات بالجفاء والصد والاستعلاء.

ستقرأ فى هذا الكتاب عن:

* **اللَّه**: يسكن فى كل ذرة فى الجسد اليهودى.

* **إسرائيل**: مملكة الله على الأرض.

* **اليهودى**: كل يهودى هو المسيح.

* **المرأة**: هى برميل من الغائط، طبقًا للتلمود والدراسات الدينية التقليدية... ولا تسمو لدراسة الكتاب المقدس.

* **الآخر**: الدم اليهودى مختلف عن دم الآخرين (الأغيار)، والروح اليهودية مختلفة عن روح الآخر... وقد خلق الله الكون من أجل اليهود... فإذا مات غير اليهودى فلا بأس... وقتل العرب فضيلة من وجهة نظر الأصولية اليهودية... وفى قتلهم خلاصهم على يد اليهود.

* **الكنائس المسيحية**: هى كنائس وثنية، على إسرائيل القوية إزالتها من أرض إسرائيل.

* **الديمقراطية ومظاهر الحضارة الغربية**: خطر داهم على الحياة اليهودية النقية.

obeikandl.com

* **القدرة العسكرية الإسرائيلية**: أولئك الذين يتباهون بها، هم أشد الناس خوفًا من العرب.

هذا بعض ما سيجده القارئ فى الكتاب، وقد نقل المؤلفان كثيراً من نصوصه من الصحافة ووسائل الإعلام والمدارس والمعاهد الدينية وأقوال الحاخامات، واستشهدا بالكثير من المراجع الدينية اليهودية المعتمدة، بدءًا بالعهد القديم والدراسات التلمودية، إلى كتابات علماء اليهود الثقات.

وهدفنا من نشر الكتاب - الذى يصدر فى ثلاثة أجزاء - التنبيه على خطر الأصولية اليهودية الذى يهددنا فى المقام الأول، ذلك الخطر الذى غضضنا الطرف عنه، سواء بسبب نقص فى المعرفة، أو نقص فى التحليل، أو غير ذلك . . . . بينما حذر منه كاتبان يهوديان . . . أحدهما إسرائيلى، والثانى أمريكى.

عادل المعلم

يوليو ٢٠٠٤م

obeikandl.com

تمهيد

لأن الأصولية الإسلامية كانت دائمًا مرادفة للإرهاب العربى، فإنها تحصل على نصيب وافر من كراهية العالم غير الإسلامى. ولأن الأصولية المسيحية مصحوبة دائمًا بالجهل والسطحية وعدم التسامح والتمييز العنصرى، فقد أصبحت هدفًا لبغض الصفوة الثقافية والحضارية فى الولايات المتحدة. وأدت الزيادة الكبيرة فى أعداد معتنقيها مؤخرًا، إلى جانب اتساع نفوذها السياسى، إلى تحول الأصولية المسيحية إلى خطر حقيقى على الديموقراطية فى الولايات المتحدة. وعلى الرغم من احتوائها على كل السمات العلمية الاجتماعية للأصولية الإسلامية والمسيحية، على وجه التقريب، فإن الأصولية اليهودية مجهولة خارج إسرائيل. وحينما يتم العلم بها، يتم التقليل من أهميتها إلى أدنى حد أو اختزالها فى الممارسات الدينية السرية والزى اليهودى التقليدى، وذلك ـ غالبًا ـ من خلال المعلقين غير الإسرائيليين الذين يرون الشرور الكامنة فى أبناء عمومتها الأصولية الإسلامية والأصولية المسيحية.

وباعتبارنا دارسين للمجتمع المعاصر وكيهوديين، أحدهما إسرائيلى والآخر أمريكى، وبما لدينا من التزامات وارتباطات بالشرق الأوسط،

فإننا لا نستطيع التنصل من رؤية الأصولية اليهودية فى إسرائيل كعائق جوهرى أمام السلام فى المنطقة. كما أننا لا نستطيع تجاهل الخطر الداهم للأصولية اليهودية على السلام وعلى ضحاياها من خلال أولئك الذين يعرفونها معرفة جيدة، وسرعان ما يشيرون بأصابع الاتهام إلى العنف الكامن فى المناهج الأصولية الأخرى.

هذا الكتاب هو رحلة للفهم - غالبًا مؤلمة وموحشة وتبعث على القلق - بالنسبة لنا كيهود يعلقون الكثير على اليهودية. ومن كل قلوبنا وعقولنا نرغب فى أن يقوم اليهود إلى جانب الشعوب الأخرى بالكفاح من أجل تحقيق القيم العليا، حتى لو قصرنا عن بلوغها، ونحن نرى أن هذه القيم تقع من الحضارة الغربية موقع القلب، ويعمل فى سبيلها كل العالم المتحضر. إننا نؤمن بأن هذه القيم لا تقف فى طريق السلام بأى شكل من الأشكال، وإساءة استخدام هذه القيم باسم الأصولية اليهودية يقف عقبة على طريق السلام وأمام تنمية الديموقراطية الإسرائيلية وحتى على طريق التحضر، مما يسىء إلينا كيهود وكبشر. ومن أجل التعرف على والحد من - وليس التخلص النهائى - من هذه الإساءة، كتبنا هذا الكتاب وشرعنا فى هذه الرحلة.. على أمل أن نصل بقرّائنا إلى شاطئ الفهم ونحن معهم.

إننا نفترض أن السلام فى الشرق الأوسط لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تم فهم التيارات والتيارات المعارضة للحياة المعاصرة فى المنطقة. وفى هذه المنطقة ذات السمات التاريخية والدينية البارزة، يتضمن ذلك الفهم سبر

غور الماضى الذى لا يزال يخيم بظلاله على المواقف والقيم والافتراضات والسلوك لكل شعوب هذه الأرض الجميلة والمليئة بالمشاكل. والمعارضة اليهودية فى إسرائيل للأصولية اليهودية زادت إلى حد بعيد بعد أن أصر أحد المتعصبين الأصوليين الدينيين اليهود، **وهو إيجال عامير، بأنه كان يتصرف طبقًا لتعليمات الشريعة اليهودية حينما قام بإطلاق الرصاص على إسحاق رابين رئيس الوزراء الراحل وأرداه قتيلاً. وأدى قيام العديد من الجماعات الدينية اليهودية بعد الاغتيال بتأييد جريمة القتل هذه باسم الديانة اليهودية «الحقيقية» إلى إثارة الاهتمام فى إسرائيل بجرائم القتل الماضية التى قام بها يهود ضد يهود آخرين اعتبروا مهرطقين أو آثمين.**

وفى كتابنا هذا سوف نستشهد بتحقيقات حالية وسابقة لباحثين إسرائيليين يؤكدون أن اليهود قبل قرون من ظهور الدولة القومية المعاصرة، من خلال اعتقادهم بأنهم يعملون تبعًا لكلمة الرب واستعدادًا للجنة الأبدية، قاموا بمعاقبة أو قتل المهرطقين ومرتكبى الآثام. إن الأصولية اليهودية المعاصرة محاولة للعودة إلى المجتمع الذى كان موجودًا قبل ظهور الحياة المعاصرة.

والقواعد الأساسية للأصولية اليهودية هى نفسها الخاصة بالديانات الأخرى: إعادة بعث وإحياء المجتمع الدينى «النقى» والورع المفترض وجوده فى الماضى.

كما سنقوم بوصف أصول وأيديولوچيات وممارسات وتأثير الأصولية على المجتمع ببعض التفصيل.

كما أننا سنركز بشكل خاص على الاتجاه المسيانى أو المسيحانى (الذى يبشر بظهور المسيح أو المخلص اليهودى وقيام مملكة اليهود).

وذلك لأننا نعتقد أنه الاتجاه الأكثر تأثيراً والأكثر خطورة فى إسرائيل.

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية، نجد أن الحزب القومى الدينى، الذى يسيطر عليه أنصار الاتجاه المسيانى (المبشر بالخلاص) للأصولية اليهودية، يعارض بشكل مستمر أى انسحاب من الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى عام ١٩٦٧م.

وقد عارض هؤلاء الأصوليون الانسحاب الإسرائيلى من سيناء عام ١٩٧٨م، وبعد مرور عشرين عامًا على ذلك ما زالوا يعارضون أى انسحاب من الضفة الغربية، **قاموا بطباعة وتوزيع أطلس يبيّن أرض إسرائيل المزعومة، التى تنتمى فى رأيهم لليهود وتنتظر التحرير وتشتمل على سيناء والأردن ولبنان ومعظم سوريا.** كما دافع الأصوليون اليهود عن المقترحات المسرفة فى التمييز العنصرى ضد الفلسطينيين.

إذن لا عجب أن باروخ جولدشتاين وإيجال عامير، أشهر السفاحين اليهود فى التسعينيات ومعظم المعجبين بهما كانوا من الأصوليين اليهود ذوى النزعة المسيانية.

وفى التسعينيات، ركز علماء الاجتماع والباحثون الإسرائيليون العاملون فى المجالات الأكاديمية على الآثار الاجتماعية للأصولية

اليهودية على المجتمع الإسرائيلى. والرأى الشائع بين هؤلاء الباحثين هو أن الأصولية اليهودية فى إسرائيل معادية للديموقراطية. ويعارض الأصوليون المساواة بين جميع المواطنين، وخاصة غير اليهود واليهود الشواذ، **والغالبية العظمى من اليهود المتدينين فى إسرائيل، بسبب تأثرهم بالأصوليين، يشاركونهم وجهات نظرهم إلى حدٍّ ما.**

وفى عرض أحد الكتب التى نشرت فى ١٤ أكتوبر ١٩٩٨م، يستشهد باروخ كيمرلنج، أحد علماء الاجتماع الإسرائيليين البارزين، ببعض الدلائل المأخوذة عن إحدى الدراسات التى قام بها باحثون آخرون، قائلاً:

«إن قيم الديانة (اليهودية)، على الأقل فى شكلها الأرثوذكسى والقومى الذى يسود إسرائيل، لا يمكن أن تتوافق مع القيم الديموقراطية، ولا يوجد أى متغير آخر ـ سواء كان القومية أو الأمن أو القيم الاجتماعية أو الاقتصادية أو السلالة العرقية أو التعليم ـ يؤثر على مواقف اليهود (الإسرائيليين) على نحو يضر بالديموقراطية كما يفعل التشدد الدينى».

ومن خلال الاستشهاد بأدلة إضافية، يقول كيمرلنج أيضًا:

إن اليهود الإسرائيليين العلمانيين الذين حصلوا على تعليم جامعى أو متوسط هم أكثر التصاقًا بالقيم الديموقراطية، وأن اليهود المتدينين الذين تلقوا تعليمهم فى المدارس الدينية (اليشيڤوت) هم الأكثر اعتراضًا على الديموقراطية، ومن الواضح أن عداء الأصوليين للقيم الديموقراطية،

وكذلك لمعظم جوانب الثقافة العلمانية ونمط الحياة السائدة، مغروس بعمق فى المدارس الدينية الإسرائيلية.

إن الأدلة التى تشير إلى عداء الأصوليين لأسلوب الحياة العلمانى للغالبية العظمى من اليهود الإسرائيليين بالغة الوضوح. والعدد الصادر يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٩٩٨م من صحيفة «يديعوت أحرونوت»، أوسع الصحف اليومية الإسرائيلية انتشاراً، على سبيل المثال، يحتوى على دراسة مسحية «للخصائص الثقافية» للمجتمع اليهودى الإسرائيلى. وكشفت الدراسة عن أن المستهلكين الإسرائيليين الأساسيين للثقافة، الذين يزورون المتاحف ويحضرون الحفلات الموسيقية ويشاهدون العروض المسرحية، هم أولئك الذين أتموا الدراسة بالمدرسة العليا، ووصفوا أنفسهم بأنهم إما علمانيون أو ليسوا يهوداً أرثوذكسًا. وأكدت الصحافة الدينية الإسرائيلية وتصريحات الحاخامات الإسرائيليين، التى تدين النشاط الثقافى، على نتائج الدراسة.

وأبدى الأصوليون اليهود عداء سافراً تجاه اليهود الذين يتبعون نمط حياة جنسية مختلفًا، كما كان رد فعل الكثير من الحاخامات الإسرائيليين والأحزاب السياسية الدينية الإسرائيلية فى التسعينيات عنيفًا تجاه تنامى قوة جماعات الشواذ والشاذات فى إسرائيل. وتبعًا للهالاخاه (الشريعة اليهودية) فإن عقوبة الشذوذ هى الرجم حتى الموت، وعلى الرغم من أن العقوبة غير واضحة بالنسبة للسحاق، فإنه محرم أيضًا. وركزت الصحافة العلمانية فى التسعينيات على بعض المقترحات الحاخامية

الغاضبة للتعامل مع الشواذ، والتى اشتملت على «العلاج الإجبارى» وقضاء فترة فى «مصحات علاج إجبارى مغلق».

وأشار الكثير من الحاخامات إلى أنهم يفضلون تطبيق عقوبة الموت على الشواذ اليهود. (ومالوا إلى تنحية موضوع السحاق جانبًا). وفى الدعاية الانتخابية التليفزيونية، كانت الأحزاب السياسية الإسرائيلية الدينية تؤكد على أن اليهود الشواذ يشكلون أحد أعظم الأخطار التى تهدد إسرائيل.

والصراعات فى المجتمع الإسرائيلى بين أنصار ومناوئى الأصولية اليهودية تعتبر ضمن أهم قضايا السياسة الإسرائيلية.

وفى هذا الكتاب لن نحاول مناقشة كل هذه المشاكل والقضايا. ولكننا سوف نركز على ما نعتبره المشاكل والقضايا الأكثر حيوية للأصولية اليهودية.

إن المدافعين عن «المصالح اليهودية» يهاجمون غالبًا الأشخاص الذين يكتبون بشكل نقدى عن اليهود واليهودية؛ بسبب عدم تأكيدهم فى نفس المكان على السمات الإيجابية، والتى قد لا يكون لها أى تأثير يذكر على الموضوع الذى تتم معالجته، وبعض هؤلاء المدافعين، على سبيل المثال، قاموا بالهجوم على سيفى راشليڤسكى بعد نشره كتابه الشهير «حمار المسيح». وفى كتابه زعم راشليڤسكى أن الحاخام الأعظم كوك، الأب الروحى للنزعة المسيانية فى الأصولية اليهودية (والذى يشار إليه على

نحو بارز فى هذا الكتاب)، قال: «**إن الفرق بين روح اليهود وأرواح غير اليهودأكبر وأعمق من الفرق بين روح الإنسان وأرواح البهائم**» ولم يحاول مناوئو راشليڤسكى نفى علاقة كوك بهذه المقولة. ولكنهم، بدلاً من ذلك، قالوا إن الحاخام كوك قال أشياء أخرى وأن راشليڤسكى، من خلال إغفاله ذكرها، قد شوه تعاليم الحاخام كوك. وأشار راشليڤسكى إلى أن مجمل تعاليم الحاخام كوك كانت قائمة على «القبالاه اللوريانية»، وهى تلك المدرسة من مدارس التصوف اليهودى التى سادت اليهودية من أواخر القرن السادس عشر إلى أوائل القرن التاسع عشر (وقام بتأسيسها الحاخام إسحاق لوريا). **وإحدى العقائد الأساسية للقبالاه اللوريانية تتمثل فى السمو المطلق للروح اليهودية والجسد اليهودى على الروح والجسد غير اليهوديين. وتبعًا للقبالاه اللوريانية، فإن العالم خلق فقط من أجل اليهود، ووجود غير اليهود هو أمر ثانوى.** فلو قام أحد القساوسة المسيحيين أو أحد رجال الدين الإسلامى البارزين بالقول بأن الفرق بين الأرواح السامية لغير اليهود والأرواح الأدنى لليهود أكبر من الفرق بين روح الإنسان وروح البهيمة، فإنه سوف يشعل غضب معظم الباحثين اليهود ويتهمونه بمعاداة السامية، بصرف النظر عن العبارات الإيجابية التى يمكن أن تكون قد جاءت فى كلامه. ومن هذا المنظور يعتبر مناوئو راشليڤسكى من معتنقى الرياء. وكون الحاخام كوك نباتيًا، وكونه يحترم حقوق النباتات لدرجة عدم سماحه بقطف الزهور من أجل أن يستمتع بها، لا يضيف ولا ينقص من موقفه الخاص بالمقارنة بين أرواح اليهود وغير اليهود شيئًا. كما أن استنكاره للوحشية اليهودية غير

الضرورية ضد غير اليهود لا يجب أن يقلل من النقد الموجه **لابتهاجه النابع من إيمانه بأن موت ملايين الجنود أثناء الحرب العالمية الأولى كان إحدى علامات قرب خلاص اليهود ومجيء المسيح.**

إن المنتقصين من قدر راشليڤسكى وأولئك الذين قد يمطروننا بوابل من النقد لنا ولكتابنا على السواء، ليسوا المنافقين الوحيدين فى المنطقة. فأرفف المكتبات فى الدول التى تتحدث الإنجليزية وفى دول أخرى تئن تحت وطأة الكتب التى تتحدث عن التصوف اليهودى بشكل عام وعن القبالاه اللوريانية والحسيدية (وهى حركة صوفية)، بشكل خاص. والكثير من مؤلفى هذه الكتب يعتبرون من أشهر الباحثين بسبب اهتمامهم بالتفاصيل. ومع ذلك، فإن من يقرأ هذه الكتب لا ينتابه الشك فى أن التصوف اليهودى والقبالاه اللوريانية والحسيدية وتعاليم الحاخام كوك تحتوى على أفكار أساسية عن التفوق اليهودى مقارنة بأسوأ أشكال معاداة السامية.

فمؤلفو هذه الكتب، ومنهم جيرشون شوليم على سبيل المثال، قد أغفلوا الإشارة إلى هذه الأفكار. فهؤلاء المؤلفون منافقون على أعلى مستوى. وهم بذلك يشبهون الكثير من مؤلفى الكتب التى تتناول ستالين والستالينية، فحتى وقت قريب، لم يكن يستطيع قرّاء الكتب التى كتبت بواسطة أنصار ستالين أن يعلموا شيئًا عن جرائم ستالين، كما كانت لديهم أفكار خاطئة عن الأنظمة الستالينية وأيديولوچياتها الفعلية.

والواقع أن هناك يهودًا - بعضهم يملك نفوذًا سياسيًا - يعتبرون أن اليهود أعلى منزلة من غير اليهود، وينظرون إلى العالم على أنه خُلق فقط

أو بشكل أساسى من أجل اليهود، وهذا الإيمان بالتفوق اليهودى يكون أخطر ما يمكن حينما يكون متغلغلاً فى نفوس يهود يحبون أطفالهم، ويتميزون بالأمانة فى علاقاتهم باليهود الآخرين وفى معاملاتهم وتتميز أعمالهم، كما هى الحال بالنسبة للأصوليين فى كل الديانات، بالتقوى.

كما يكون هذا الاعتقاد أقل خطورة حينما يؤمن به يهود لا يهتمون كثيراً بالدين و/ أو بالفساد. ونفس الشيء يمكن أن نراه حينما يكون هناك نظام علمانى شمولى، فإن الشخص المخلص لهذا النظام أو القومى المتشدد، عادة ما يكون أكثر خطورة وضرراً من أى شخص فاسد فى نفس النظام الأيديولوچى.

والمحصلة النهائية لهذه المقدمة هى محصلة شخصية وعامة. فنحن كيهود، ندرك أن أجدادنا أو أسلافنا، آمنوا ببعض الأفكار التى جاءت فى هذا الكتاب.

ونفس العبارة يمكن أن تنطبق على يهود معاصرين.

ففى الماضى اعتنق الكثير من غير اليهود، أفراداً وجماعات، أفكاراً معادية للسامية، والتى - حينما أصبحت الظروف مواتية - أثرت على سلوك الآخرين تجاه اليهود. وبالمثل، فى الماضى، كانت العبودية تمارس فى أركان البسيطة الأربعة وتجد من يبرر وجودها، وكانت المنزلة المتدنية للمرأة ظاهرة عالمية، وكان هناك إيمان بانتماء بلد معين لفرد معين أو عائلة معينة وكان يورث. والأصوليون اليهود ما زالوا يؤمنون، كما كانوا

فى الماضى، بأن هناك عصرًا ذهبيًا - كان، أو سوف يكون - كل شىء فيه بالغ الكمال. وهذا العصر الذهبى يكون أقرب ما يكون إلى الواقع بالنسبة لهم لدرجة أنهم عندما يواجهون بمعتقداتهم وممارساتهم الضارة فإنهم يلوذون بكلمة الرب، كما يلجأون إلى الوصف الكاذب للماضى وإدانة غير اليهود بأنهم يضمرون الإحساس بالتفوق ويزدرون اليهود.

كما يقوم الأصوليون أيضًا بتبرير إيمانهم بالتفوق اليهودى وشعورهم بالاحتقار تجاه غير اليهود (الأغيار)، ويسعون إلى إحياء العصر الذهبى الأسطورى الذى يسود فيه ما يؤمنون به.

لقد كتبنا هذا الكتاب من أجل الكشف عن الشخصية الحقيقية للأصولية اليهودية ومعتنقيها. هذه الشخصية التى تهدد السمات الديموقراطية للمجتمع اليهودى. ونحن نؤمن بأن الوعى هو أولى خطوات المعارضة.

كما ندرك أنه من خلال نقد الأصولية اليهودية فإننا ننقد جزءًا من الماضى الذى نحبه. إننا نرغب فى أن يقوم أعضاء كل المجتمعات البشرية بنقد ماضيهم، حتى قبل أن ينقدوا الآخرين. وهذا - كما نعتقد - يمكن أن يؤدى إلى تفاهم أفضل بين المجتمعات الإنسانية، ويمكن أن تتبعه، ربما على نحو بطىء وتردد، معاملة أفضل للأقليات. ومعظم ما جاء فى كتابنا يتعلق بالمعتقدات الأساسية للمجتمع اليهودى الإسرائيلى والسياسات الناجمة عن ذلك. ونحن نؤمن بأن نقد الأصولية اليهودية، الذى يتضمن نقدًا للماضى اليهودى، يمكن أن يساعد اليهود على

اكتساب المزيد من الفهم وتحسين سلوكهم تجاه الفلسطينيين، وخاصة فى الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧م، كما نأمل أن يؤدى نقدنا إلى تحفيز أشخاص آخرين فى الشرق الأوسط على نقد ماضيهم برمته من أجل زيادة معرفتهم بأنفسهم وتحسين سلوكهم تجاه الآخرين.

وكل ذلك يمكن أن يشكل عاملاً جوهريًا فى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط.

***

obeikandl.com

مقدمة

هذا كتاب سياسى عن الأصولية اليهودية. وهو يشتمل على بعض البحوث الأصيلة، ولكنه يعتمد إلى حد بعيد على بحوث الآخرين. ونأمل أن يكون هذا الكتاب تحليليًا.

وقد أوردنا فى هذا الكتاب الكثير من الاقتباسات المأخوذة من مقالات جادة نشرت فى الصحف الإسرائيلية الناطقة بالعبرية. والغالبية العظمى من اليهود الإسرائيليين على دراية بالأصولية اليهودية وببعض ردود الأفعال التى أحدثتها هذه المقالات على مدى العشر سنوات إلى الخمس عشرة سنة الماضية. وبعض هذه المقالات قد قدمت ملخصات وتحليلات بواسطة باحثين رواد قاموا بالبحث فى أعمق جوانب الأصولية اليهودية.

وقد قمنا باقتباس وشرح نصوص مأخوذة من التلمود، وهذه النصوص قد استخدمت وما زالت تستخدم فى السياسة الإسرائيلية، ويستشهد بها غالبًا فى الصحافة الإسرائيلية الناطقة بالعبرية. وقد وجدنا أنه فى الترجمات الإنجليزية المعتادة لنصوص التلمود، هناك بعض الفقرات البالغة الحساسية لا تترجم على النحو الصحيح أو يشوبها بعض

التزوير للتخفيف منها، ولذلك قمنا بترجمة كل النصوص المأخوذة من التلمود، والتى استشهدنا بها فى هذا الكتاب.

ومع ذلك فإن الأجزاء المقتبسة من الكتاب المقدس تتبع الترجمات القياسية المعترف بها، فى بعض الأحيان من خلال إنجليزية أكثر حداثة، إلا إذا أشرنا إلى ما يخالف ذلك.

ونحن ندرك أننا قدمنا عددًا من الاقتباسات المطولة، ولكننا رأينا أن ذلك ضرورى من أجل شرح ما نريد على نحو كاف. كما أننا نعتقد أن هذه الاقتباسات تستحق ويجب أن تقرأ كاملة. وبدلاً من أن نشير إلى مكان اقتباس كل جزء على نحو منفصل حسب طريقة البحث التقليدية، قررنا أن نشير إلى المكان الذى أخذت منه بشكل تفصيلى مصاحب لها. وعلى الرغم من أن ذلك قد يبدو أحيانًا به بعض التطويل، فإنه يجعل الفهم أسهل.

وعلى الرغم من أن كتابنا يتعامل بشكل أساسى مع التطورات الحديثة فى الأصولية اليهودية، فإنه يضرب بجذوره فى التاريخ اليهودى. والقيام بمراجعة شاملة موجزة للتاريخ اليهودى، وخاصة لأولئك القرّاء الذين ليست لديهم المعرفة الكافية به، وهو أمر ضرورى من أجل توفير الإطار العام للموضوع. والأصوليون فى كل الأديان يرغبون فى العودة بالمجتمع إلى «الأزمنة القديمة الطيبة»، حيث كانت العقيدة خالصة ويمارسها كل فرد. ويؤمن الأصوليون بأنه فى «الزمن القديم الطيب» لم تكن هناك أى شرور من تلك المصاحبة للعصر الحديث. ومن أجل فهم

الأصولية اليهودية يجب التعرف على الحقبة التاريخية التى يؤمن الأصوليون بأنها يجب أن تعود. ومن أجل القيام بذلك، يجب أن نحدد الفترات المختلفة للتاريخ اليهودى.

يقسم التاريخ اليهودى عادة إلى أربع فترات رئيسية: **الأولى**: هى الفترة البابلية والتى خلالها كُتب معظم الكتاب المقدس اليهودى (العهد القديم حسب التعبير المسيحى). وعلى الرغم من أن بداية هذه الفترة غير معروفة، فإنها استمرت حتى القرن الخامس قبل الميلاد على وجه التقريب.

واليهودية، على الأقل من حيث خصائصها الجوهرية، لم تكن موجودة فى تلك الفترة الزمنية. والكلمة العبرية «يهوديم» (أى «اليهودى» فى عبرية ما بعد الكتاب: الكتاب المقدس) وما يقابلها فى الكتاب المقدس اليهودى تشير إلى سكان مملكة يهودا الصغيرة، وتستخدم لتمييز هؤلاء السكان ـ عن كل الشعوب الأخرى ـ الذين يطلق عليهم «الإسرائيليون» أو «أبناء إسرائيل» أو نادرًا، «العبرانيون». وعلى كل حال فإن الكتاب المقدس ليس هو الكتاب الذى يحدد بشكل أساسى ممارسات ومذاهب اليهود الأرثوذكس. واليهود الأرثوذكس الأكثر تشددًا يجهلون إلى حد بعيد أجزاء كبيرة من الكتاب المقدس، ويلمون ببعض أجزائه فقط من خلال التفسيرات التى تشوه المعنى. علاوة على ذلك، فإن الخلافات تمزق هذه الحقبة الخاصة بالكتاب المقدس. فمعظم الإسرائيليين، بما فى ذلك سكان يهودا، كانوا من الوثنيين خلال الجانب

الأعظم من هذه الحقبة. فقط قلة قليلة من الإسرائيليين اتبعوا النزعات التى انبثقت منها اليهودية فى وقت لاحق.

بإيجاز، لم تكن اليهودية، كما نعرفها الآن، موجودة خلال حقبة الكتاب المقدس.

الحقبة الثانية فى التاريخ اليهودى، والتى تسمى عادة حقبة المعبد الثانى، بدأت فى القرن الخامس قبل الميلاد واستمرت حتى تدمير المعبد الثانى بواسطة الرومان فى عام ٧٠ بعد الميلاد، وكانت هذه هى الفترة الرسمية لليهود بكل خصائصها اللاحقة. ومصطلح «يهود» الذى يشير إلى الشعب الذى يتبع الديانة اليهودية، وكلمة يهودا التى تشير إلى الأرض التى يعيش فيها اليهود، ظهرا فى تلك الحقبة، ومع اقتراب تلك الحقبة من نهايتها، بعد أن قام اليهود باجتياح فلسطين، استخدم الرومان كلمة «يهودا» لوصف فلسطين، وأهم خاصيتين يهوديتين جديدتين تبلورتا فى هذه الفترة هما انغلاق المجتمع اليهودى والانفصال اللاحق لليهود عن كل الأمم الأخرى، ولأول مرة يشار إلى أفراد الأمم الأخرى باسم الأغيار (غير اليهود، وهو لفظ توراتى). والخاصية الجديدة الثانية كانت قائمة على افتراض أن اليهود يجب أن يتبعوا شريعة الكتاب المقدس، التى هى الشريعة الحقيقية. ومع ذلك، طوال الجانب الأعظم من هذه الحقبة، كان هناك الكثير من الخلافات حول التفسيرات المختلفة والمتصارعة للشريعة الموجودة فى الكتاب المقدس. وفى بعض الأحيان، تحولت هذه الخلافات إلى حروب أهلية. ولم يكن الصراع الطويل الأمد

الذى نشب بين الفريسيين والصدوقيين إلا أحد أمثلة ذلك. وبعد وقت قصير من بداية هذه الحقبة، قام الإسكندر الأكبر بغزو فلسطين. وحكمت الدول الخاضعة للنفوذ الهلينى فلسطين لما يقرب من ألف عام، فحتى الدولة اليهودية المستقلة التى لم تعش طويلاً فى ظل الأسرة الهاسمونية كانت أحد أنماط الدول الهلينية.

وبناء على ذلك، فإن المجتمع اليهودى واللغة العبرية، على الرغم من احتفاظهما بالخصائص اليهودية، قد شهدا عملية تحول بسبب النفوذ الهلينى. كما أثرت الهلينية على نحو أكثر عمقًا على الشتات اليهودى (الدياسپورا) فى بلدان البحر الأبيض المتوسط. واليهود فى تلك الدول كانوا يتحدثون ويصلون باليونانية. ولسوء الحظ أن معظم الكتابات اليهودية التى كتبت باللغة اليونانية فى تلك الفترة فقدت فى وقت لاحق، وبقى فقط ذلك الجزء الذى احتفظت به الكنائس المسيحية المختلفة.

يرجع معظم المؤرخين بداية الحقبة الثالثة إلى عام ٧٠ بعد الميلاد مع تدمير المعبد الثانى. وهناك مؤرخون آخرون يفضلون إرجاع بداية الفترة الثالثة إلى عام ١٣٥ بعد الميلاد، حينما انتهى آخر التمردات اليهودية الكبرى ضد الإمبراطورية الرومانية. وانتهت هذه الحقبة فى أزمنة مختلفة فى دول مختلفة بظهور المعاصرة ونشوء دول قومية حديثة.

ولقد بدأت المعاصرة حينما مُنح اليهود حقوقهم كمواطنين على نحو مساو لتلك الممنوحة لغير اليهود، وحينما انتهى استقلالهم الذى كان ينطوى على الخضوع للحاخامات. وحدث ذلك فى الولايات المتحدة

وفرنسا، على سبيل المثال، مع نهاية القرن الثامن عشر، ولكنه لم يحدث فى روسيا حتى عام ١٩١٧م أو فى اليمن حتى الخمسينيات. وأدى التمرد اليهودى ضد الرومان إلى فقدان دائم للسكان اليهود فى فلسطين، مما أدى إلى المزيد من تزايد أهمية الدياسپورا اليهودية.

وأصبح هذا التحول فعّالاً إلى حد بعيد فى القرن الخامس بعد الميلاد.

بالإضافة إلى ذلك، أدى فشل التمرد اليهودى إلى جعل اليهود يفقدون الأمل فى إعادة بناء المعبد، وفى استئناف التضحية بالحيوانات داخل المعبد، الذى كان فى السابق قلب الديانة اليهودية، قبل مجىء المسيح. وأدت الهزائم المتتالية إلى جعل اليهود يتعايشون مع السلطة الحاكمة فى روما ومع دول أخرى مع مقابل منحهم حكمًا ذاتيًا محدودًا يديره الحاخامات.

وعلى ذلك، فى الإمبراطورية الرومانية فى القرن الرابع الميلادى، من خلال نظام أنشئ قبل وقت طويل من هذا التاريخ، كان اليهود جميعًا خاضعين فى أمورهم الدينية للبطريرك الذى كان يمتلك سلطة معاقبتهم بالجلد والغرامة نتيجة لارتكاب المخالفات الدينية، وكذلك بفرض الضرائب، والشخص الرفيع المقام الذى كان يسمى البطريرك فى المصادر الرومانية كان يسمى فى المصادر العبرية الرئيس («ناسى» بالعبرية).

وكان يرأس المحكمة اليهودية العليا (السانهدرين) ويقوم بتعيين أعضاء المحكمة فى فلسطين والموظفين الدينيين الآخرين. وكان البطريرك، الذى كان منصبه على قمة النظام الهرمى، يحتل منزلة مرتفعة

فى نظام الدولة الرومانية. ووجد نظام مشابه فى نفس الوقت فى العراق حيث كان هناك مسئول أعلى يسمى عميد الدياسپورا. وكلٌّ من البطريرك وعميد الدياسپورا كان يدعى أنه من نسل الملك داود.

وقد بقى منصب البطريرك بعد وقت وجيز من عام ٤٢٩ من الميلاد، ومنصب عميد الدياسپورا حتى حوالى عام ١١٠٠ ميلادية. وكلا المنصبين كان يمثل الإطار العام لنماذج الحكم الذاتى اليهودى.

وقد ساهم هذا الحكم الذاتى، الذى استمر حتى الحقبة الحديثة، وكانت له أصداؤه بعد ذلك، فى نشوء الأصولية اليهودية. والجانب الكبير من الكتابات التى تم إنتاجها فى الحقبة الثالثة، أطول حقب التاريخ اليهودى، كتب معظمها بالعبرية، ولكن أيضًا بالآرامية واليونانية والعبرية واليديشية (خليط من العبرية والألمانية) ولغات أخرى. وكان الموضوع الأساسى لهذه الكتابات هو الدين، وتم التأكيد على دقائق الشعائر اليهودية. كما ظهرت الفلسفة والشعر والعلوم، المنتمية لأرسطو بشكل أساسى، فى بعض الأوقات فى بعض الأماكن، ولكنها لم تكن شاملة ولا مستمرة، وفى الكثير من مناطق الشتات (الدياسپورا)، خاصة فى وسط أوروپا، كانت الكتابات الوحيدة التى يتم إنتاجها حتى عام ١٧٥٠ هى كتابات دينية.

ومن منظور الأصولية اليهودية، كانت أهم مكتسبات الحقبة الثالثة هى تنامى التصوف اليهودى، والذى يُشار إليه عادة باسم «القبالاه»، وأدى

التصوف اليهودى إلى إحداث تحول فى المعتقدات اليهودية دون المساس بالشعائر الدينية باستثناء قليل من التفاصيل .

وفيما بين عامى ١٥٥٠ و١٧٥٠م، اعتنقت الغالبية العظمى من اليهود فى غرب أوروبا القبالاه وكل المعتقدات المتصلة بها، وكان ذلك يمثل نهاية الحقبة الثالثة من التاريخ اليهودى التى سبقت ظهور الدول القومية المعاصرة وبداية التأثيرات الحديثة. ولا يزال التصوف معتنقًا بواسطة الأصولية اليهودية ويشكل جانبًا حيويًا من معتقداتها وخاصة بالنسبة لأنصار الاتجاه المسيانى.

وكما سوف يتضح فى كتابنا ، فإن أيديولوچية الاتجاه المسيانى فى الأصولية اليهودية تعتمد على القبالاه.

وعلى الرغم من الإشارة العابرة إلى الكتاب المقدس فى بعض المواضع، فإن الأصوليين اليهود يشيرون دائمًا ويصفون الجزء الأخير من هذه الحقبة الثالثة على أنه العصر الذهبى الذى يرغبون فى نفخ روح الحياة فيه. ويجدر بنا أن نلاحظ، على نحو يتجاوز تفريخ الأصولية اليهودية، الانتشار الواسع للكتابات الدينية فى تلك المرحلة الثالثة مما أدى إلى خلق شعور قوى بالوحدة اليهودية، بناء على الديانة المشتركة واللغة العبرية. (فكل اليهود المتعلمين، بصرف النظر عن اللغة التى كانوا يتحدثونها، استوعبوا واستخدموا العبرية كلغة مكتوبة لديانتهم).

الحقبة الرابعة والمعاصرة هى تلك التى نعيش فيها. وقد بدأت فى أزمنة مختلفة فى بلدان مختلفة، حيث انتقل الكثير من اليهود

الإسرائيليين، من عصور ما قبل المعاصرة إلى الأزمنة المعاصرة. وكما سوف نرى فى الفصل الثالث من هذا الكتاب، تعتبر هذه ظاهرة مهمة وخاصة بالنسبة لليهود الشرقيين.

ويؤكد كتابنا على أن الأصولية اليهودية نشأت كرد فعل لتأثير المعاصرة على اليهود، ويمكن فهم تأثير الأصولية اليهودية على المجتمع اليهودى الإسرائيلى فقط من خلال سياق المسار الكلى للتاريخ اليهودى.

***

obeikandl.com